ليلة القدر

خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٢٠ رمضان ١٤٣٥ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

الحمد لله، الحمد لله ذي الجلال والإكرام، السميع البصير العلام، جعل ثواب الصيام تكفير الآثام، وجعل مثل ذلك ثوابًا للقيام، وجعل لنا في شهرنا ليلةً هي خيرُ ليالي العام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المعبود الحق على الدوام، أعدّ للطائعين الجنة دار السلام، وجعل فيها بابًا للصُّوّام، وتوعّد العصاة بجهنّم دار الانتقام، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث رحمةً للأنام، خيرُ من اجتهد في العبادة وصلّى وصام، صلى الله عليـــه وسلم أزكى صلاة وأتمّ سلام، ورضي الله عن آله الأطهار الأعلام، وصحابته الطيبين الكرام، أما بعد فيا عباد الله:

إن ربنا رؤوف رحيم، مُحسِن كريم، أكرم أمة محمد ﷺ فجعل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وادّخر سبحانه أعمالاً لا يعلم جزاءها إلا هو ﷻ، ومنها الصوم، فإنه له سبحانه وهو يجزي به.

ومع هذا الكرم العظيم، والفضل العميم، زاد الله أمّة محمد ﷺ كرمًا، فجعل لها مواسم للخيرات يُجتهَد فيها بالطاعات، وتَكثُر فيها البركات، ومنها شهر رمضان الذي أكرمنا الله بإدراك أيامه والتّمتّع بصيامه وقيامه، وأكرمنا الله -يا عباد الله- فجعل آخر شهرنا أفضله، وذلك ليتدارك المسلم ما فاته من الأيام بأيام هي خير من الأيام التي فاتت.

فخير أيام شهرنا -يا عباد الله- هي العشر الأواخر منه، وذلك أنّ فيها ليلةً مباركة، تكثر فيها النفحات، وتزداد فيها الخيرات والبركات، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣﴾ [الدخان:٣].

إنها ليلة يُفرَق فيها كلّ أمر حكيم، فيَكتُب الله ﷻ فيها الأرزاق والآجال وما يكون من الأحوال في ذلك العام، بمعنى: أنّ الله ﷻ يُعلِم الملائكةَ عليهم السلام بما يكون في ذلك العام من الأحوال، وهذا ما يُعرَف عند أهل العلم بالتقدير السنوي، وقَدَرُ الله ﷻ كلّه مُحكَم لا يخرج عنه شيء، وهو في غاية الحكمة.

إنها ليلة شريفة مباركة، جعل الله لها سورة في القرآن تُتلَى إلى يوم القيامة، لبيان شرفها وفضلها، فقال ربنا ﷻ بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ [القدر:١].

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾:

- قال بعض أهل العلم: أُنزِل القرآنُ جملةً واحدةً من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نُزِّل على النبي ﷺ في مدة ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع.
- وقال بعض أهل العلم: إنّ ابتداء نزوله كان في تلك الليلة.
- وقال بعض أهل العلم: إن الله ﷻ كان يُنزّل من القرآن في كل سنة ما يَنزِل في تلك السنة في ليلة القدر منها.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾:

- ليلة القدر -قال بعض أهل العلم- سُمّيت بذلك لأنّه يُفرَق فيها كل أمر حكيم، أي يُقدَّر فيها كل أمر حكيم.
- وقال بعض أهل العلم: سُمّيت بذلك لشرفها ورفعتها، وكثرة خيراتها وبركاتها، كما يُقال: فلان ذو قدر، أي ذو شرف ورفعة ومكانة.
- وقال بعض أهل العلم: سُمّيت بذلك لضيق وقتها، فهي ليلة تَمضي لحظاتُها سريعة، من التقدير وهو التضييق.

ولا مانع -يا عباد الله- من أن تكون سُمِّيَت من أجل ذلك كله.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢﴾ [القدر:١-٢]: سؤال تشويق وبيان لشرف هذه الليلة، قال العلماء: كل آية قال الله فيها (ما أدراك) قد أخبر النبيَّ ﷺ بها، وكل آية قال الله فيها (ما يُدريك) لم يخبر الله النبيَّ ﷺ بما فيها.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾ [القدر:٢-٣]: ليلة القدر مباركة، هي خير للمؤمن الموحّد في بركتها، وثوابها، وخيراتها، من ثلاث وثمانين سنة وثُلُث، ليس فيهنّ ليلة القدر.

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر:٤]: من شرفها يَكثُر تنزُّلُ الملائكة فيها، حتى أن الملائكة تكون في تلك الليلة أكثر من عدد الحصى، وينزل مع الملائكة جبريل عليه السلام، وهو من الملائكة، وأُفرِدَ بالذكر لشرفه ورفعته عليه السلام.

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾ [القدر:٤]: فهم ينزلون بأمر الله، ويتنزّلون بأمر الله من البركات والخيرات.

﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ [القدر:٥]: فَلَيلَةٌ كلّها سلام، يَكثُر فيها السّلام، حيث يُسَلِّم الملائكة على المؤمنين، وهي خير وبركة، ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر:٥]، ينتهي وقتها بطلوع الفجر.

إنها -يا عباد الله- ليلة كلّها خير، لا يُحرَم خيرها إلا محروم، ومن حُرِم خيرها فقد حُرِم الخير كلّه.

إنها -يا عباد الله- ليلة في رمضان يقينًا بنصّ القرآن والسنة: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥]، كانت في أوّل الأمر قد عُمِّيَت في الشهر كله، فالْتَمَسَها النبي ﷺ في العشر الأوائل، فاعتكف العشر الأوائل من رمضان، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن الذي تطلب أمامك، فاعتكف في السنة الثانية في العشر الأواسط من رمضان، فجاءه جبريل عليه السلام، فقال: إن الذي تطلب أمامك، فعَلِمَ النبي ﷺ أنّ ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان.

وهذا -يا عباد الله- من رحمة الله بنا، جُعِلَت ليلتنا المباركة في عشر ليالٍ، ليست في شهر، ولا في سنة، إذ لو كان الأمر كذلك لقلّ طُلابها، وقلّ المجتهدون في طلبها، لكنّها -يا عباد الله- ليلة من عشر ليالٍ، فلا عذر لأحد في التفريط فيها، ولذا -يا عباد الله- مَن حُرِم خيرها فقد حُرِم.

ويُستحَبّ يا عباد الله، يُستحب للعبد أن يجتهد في تحرّيها في العشر الأواخر كلها، فإنها سنة النبي ﷺ، كان النبي ﷺ يجتهد في العشر الأواخر كلّها، وحثّنا ﷺ على ذلك، فقال: «تحرَّوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان» وقال ﷺ لأصحابه: «أرى رؤياكم تواطأت في العشر الأواخر، فمن كان متحرّيها فليتحرّها في العشر الأواخر من رمضان».

ومن غُلِبَ على العشر -يا عباد الله- يُستَحَبّ له أن يجتهد في طلبها في السبع الأواخر، التي تبدأ من ليلة ثلاث وعشرين، قال النبي ﷺ: «التمسوها في العشر الأواخر، فإن غُلِبتم فلا تُغلَبوا على السبع

البواقي»، وقال لأصحابه: «أرى رؤياكم تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان مُتَحَرِّيها فليتحرَّها في السبع الأواخر».

وأوتار الليالي -يا عباد الله- آكد من أشفاعها، يقول النبي ﷺ: «تحرَّوا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر»، فإنها -كما أخبر النبي ﷺ- تكون في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى، في ثلاث، وفي آخر ليلة، أي أنّها في ليلة إحدى وعشرين، أو ليلة ثلاث وعشرين، أو ليلة خمس وعشرين، أو ليلة سبع وعشرين، أو ليلة تسع وعشرين.

فمن كان -يا عباد الله- يُغلَب على هذا كلّه فلا يُغلبَنّ على ليلة ثلاث وعشرين، وليلة سبع وعشرين، فإنّ النبي ﷺ تذاكر عنده الصحابةُ يومًا ليلةَ القدر، فقال ﷺ: «أيّكم يذكر حين كان القمر كَشِقِّ جَفنَة؟»، أي كَشِقّ صَحفَة، أو ما نسمّيه نحن اليوم بالصحن أو بالطبق.

والشِّقّ: قال بعض أهل العلم هو النصف، أي مثل ما يكون القمر في النصف، ويكون القمر في النصف في ليلة ثلاث وعشرين.

وقال بعض أهل العلم: المراد بالشّقّ الطّرف، كما تقول: أنا في شقّ وأنت في شقّ، أي أنا في طرف وأنت في طرف، فيكون ذلك في آخر الشهر، وأرجى ذلك في ليلة سبع وعشرين.

بل قال النبي ﷺ: «تحرَّوا ليلة القدر ليلة سبع وعشرين»، وقال: «تحرَّوا ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين».

وقال عبد الله بن أنيس رضي الله عنه: قلت يا رسول الله، إنّ لي بادية أكون فيها، وأنا أصلّي بحمد الله، فمُرني بليلة أنزل فيها إلى هذا المسجد، فقال ﷺ: «انزل ليلة ثلاث وعشرين».

ولا تُهمِلوا -يا عباد الله- آخر الشهر، فإنه مَظِنَّة ليلة القدر، قال النبي ﷺ: «التمسوا ليلة القدر في آخر ليلة من رمضان».

عبد الله! عبد الله! أيّها المبارك! ها أنت ترى أنّ ليلة القدر لم تُعيَّن في ليلة واحدة، بل كلّما جاءك حديث أطمعك في ليلة جاءك حديث آخر يُطمِعك في ليلة أخرى، من أجل أن تجتهد في عبادة الله، فتنال ثواب الاجتهاد، وتصيب ليلة القدر.

ولذا قال كثير من المحققين: إن ليلة القدر تتنقّل في ليالي العشر الأواخر، ومن قام العشر الأواخر فقد قام ليلة القدر، ولا يُشترَط أن تعلم بها، ومن عباد الله من يُكرِمه الله فيَعلم ليلة القدر أيّ ليلة تكون، برؤيا أو غير ذلك مما يفتح الله به على عباده.

فاتقوا الله عباد الله، واغتنموا فاضل الأوقات، وإياكم -عباد الله- أن تكونوا ممّن إذا بقيت الأيام الشريفة من شهرهم أضاعوها في الأسواق والاستعداد للعيد، فإنّ العيد -يا عباد الله- في طاعة الله، ولِمَن أطاع الله، فلا تُضيِعوا نفائس الأوقات يا عباد الله.

معاشر العُمّال والأُجراء، إن كنتم لا تستطيعون الصلاة كاملة مع الإمام، فصلّوا ما تستطيعون، ولا تحرموا أنفسكم الاجتهاد في قراءة القرآن وأنتم تعملون، رَدِّدوا ما تحفظون ولو سورة واحدة، واجتهدوا في ذكر الله، فإنّ هذا من جنس إحياء تلك الليلة.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، أما بعد فيا عباد الله:

تقول أمّنا عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: كان النبي ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها، وتقول رضي الله عنها: كان النبي ﷺ إذا دخلت العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجدّ، وشدّ مِئزَرَه.

والمقصود -يا عباد الله- أنّ النبي ﷺ كان يزداد اجتهادًا في العبادة في العشر الأواخر من رمضان، وكان يعتكف في المسجد، فيتعزل النساء، وهذا معنى أنّه كان يشُدّ مِئزَرَه، أي أنّه ﷺ كان يتخفّف من الشواغل من أجل الاجتهاد في عبادة الله سبحانه وتعالى.

فَمِن السنة -يا عباد الله- الاجتهاد في العبادة في العشر الأواخر، وخير ما تُحيَا به العشر الأواخر القيام، الصلاة، يقول النبي ﷺ: «مَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه».

فمن قام ليلة القدر لأنّه مُؤمن، أو لأنّه آمن بموعود الله فيها، مُحتَسِبًا مُخلِصًا لله عز وجل، غفر الله له ما تقدّم من ذنبه.

والنبي ﷺ كان يجتهد في القيام في آخر العشر الأواخر أكثر من الليالي الأخرى، صلّى النبي ﷺ بأصحابه ليلة ثلاث وعشرين إلى الثلث الأول، ثم صلّى بهم ليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل، ثم صلى بهم ليلة سبع وعشرين حتى خشي الصحابة أن يفوتهم الفلاح، أي يفوتهم السّحور.

فخيرُ ما يَجتَهِد فيه العبد -يا عباد الله- في العشر الأواخر: الصلاة، القيام، ثم يجتهد في بقيّة العبادات، من قراءة القرآن والذكر والدعاء له وللمؤمنين، تقول أمّنا عائشة ﵂: قلت: يا رسول الله، أرأيت إنْ علمتُ ليلة القدر أيّ ليلة هي، ما أقول؟ قال: «قولي: اللهمّ إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّي»، وفي رواية صحيحة: «قولي: اللهمّ إنّك عفوّ كريم تحبّ العفو فاعف عنّي»، وتقول أمّنا عائشة ﵂: لو علمت ليلة لقدر أي ليلة تكون ما سألت الله إلا العفو والعافية.

فالإكثار من الدعاء في هذه الليالي سُنّة يا عباد الله، فيدعو الإنسان لنفسه، ويدعو لأقاربه، ويدعو للمؤمنين، ويجتهد في العبادات.

واعلموا -عباد الله- أنّه لا مزيّة للعمرة في ليلة من ليالي العشر معيّنة، فلا تَشُقُّوا على أنفسكم في عمرة ليلة سبع وعشرين، فإنّه لم يقم دليل على فضل خاصّ لها، بل مَن تيسّرت له العمرة في رمضان فليعتمر، فإنّ عمرة في رمضان تعدل حجّة، ولم يَرِد دليل على تخصيص ليلة بعينها، فلا تَشُقُّوا على أنفسكم، ولا تَشُقُّوا على المؤمنين بالإكثار من الاعتمار ليلة سبع وعشرين.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله أمرنا بأمر عظيم شريف، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنّى بملائكته، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صلّى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرًا».

فاللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد، وسلّم تسليمًا كثيرًا، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وأكرمنا بِحُبِّهم أجمعين يا رب العالمين.

اللهمّ أرضنا وارض عنّا يا رب العالمين، اللهمّ أرضنا وارض عنا يا رب العالمين، اللهمّ أرضنا وارض عنّا يا رب العالمين.

اللهمّ أحِبَّنا وحبِّبنا فيما تُحِبّ، وحبِّب فينا مَن تُحِبّ يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربّنا، إنّا عباد من عبادك مُذنِبون ضعفاء، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، في يوم شريف من أيّامك، في شهرك المبارك، نرجو رحمتك ونخاف عذابك، اللهمّ فأعطنا ما نرجو وفوق ما نرجو يا رب العالمين، وأَمِّنَّا ممّا نخاف يا رب العالمين.

إلهنا، إنّ لكلّ واحد منّا سؤلاً أنت أعلم به منّا، اللهمّ فأعطِ كلّ سائل سؤله بخير يا رب العالمين، اللهمّ أعط كل سائل سؤله بخير يا رب العالمين.

اللهمّ مَن علمته منّا مهمومًا ففرّج همّه، اللهمّ مَن علمته منّا مكروبًا ففرّج كربه، اللهمّ مَن علمته مريضًا أو علمت أنّ عنده مريضًا اللهمّ فاشفه واشف مريضه يا رب العالمين، اللهمّ من علمته مدينًا اللهمّ فاقض عنه الدين يا ربّ العالمين، اللهمّ مَن علمته مُضَيَّقًا عليه في رزقه اللهمّ فوسّع عليه في رزقه يا رب العالمين، اللهمّ من علمته منّا مُقيمًا على طاعةٍ اللهمّ فثبّته وزده يا رب العالمين، ومَن علمته منّا مُقيمًا على معصيةٍ اللهمّ فَتُب عليه واغفر له يا رب العالمين، اللهمّ فَتُب عليه واغفر له يا رب العالمين، اللهمّ فَتُب عليه واغفر له يا رب العالمين.

اللهمّ طهّر قلوبنا، واغفر ذنوبنا، واستُر عيوبنا يا رب العالمين.

اللهمّ بارك لنا في أعمالنا، وبارك لنا في أعمارنا، وبارك لنا في ذرّيّاتنا، وبارك لنا في بيوتنا، وبارك لنا في زوجاتنا، وبارك لنا في جيراننا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في بلادنا، وبارك اللهمّ في ديار المسلمين.

إلهنا، يا قوي يا عزيز، يا عليم يا سميع يا بصير، إنّ إخواننا في سوريا قد غفل عنهم الناس بالأحداث، وأنت أعلم بحالهم يا رب العالمين، اللهمّ فاحفظهم وقوّهم يا رب العالمين، اللهمّ فاحفظهم وقوّهم يا رب العالمين، اللهمّ فاحفظهم وقوّهم يا رب العالمين، اللهمّ سُرَّ قلوبنا بزوال كربهم يا رب العالمين، اللهمّ أزل كربهم يا رب العالمين.

اللهمّ إنّ إخواننا في فلسطين، اللهمّ إنّ إخواننا في غزة، يُعانون الأمرَّين، وإنّ عدوّهم قد طغى وتجبّر ورأى أنه لا قوة في الأرض تَردَعُه، ونحن نعتقد اعتقادًا جازمًا أنك قادر على مسخه، اللهمّ فدمّره تدميرًا، اللهمّ فدمّره تدميرًا، اللهمّ فدمّره تدميرًا، اللهمّ احفظ إخواننا في فلسطين، اللهمّ ادفع عنهم المُعتَدين، اللهمّ ادفع عنهم المُعتَدين، اللهمّ ادفع عنهم المُعتَدين.

اللهمّ إنّ إخواننا في بعض بلداننا قد تفرّقوا، اللهمّ فاجمع كلمتهم على الحق والهدى، اللهمّ وأعِذهم من شرّ الفتن وأهلها يا رب العالمين.

اللهمّ بارك لنا في وليّ أمرنا، اللهمّ امدُد في عمره على طاعة، اللهمّ واجعله نَصرًا للإسلام والمسلمين، اللهمّ املأ قلبه حُبًّا للرعية ولمن سكن هذا البلد يا رب العالمين، واملأ قلوب الرعية حبًّا له، اللهمّ اجعلنا وإيّاه مِن خير عبادك يا ربّ العالمين.

ربّنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، وأعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمّهاتنا ومن نحب من النار يا رب العالمين.

عباد الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نِعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت:٤٥].